من تراب الطريق!

(١٧٠) عبقرية القبح ؟! (*)

لسنوات غير بعيدة، كان محل لاباس بشارع قصر النيل بوسط القاهرة، شبه واحة وتحفة جمالية يؤمها الأدباء والشعراء والفنانون، وينشدها كل طالب فسحة راحة أو تزجية الوقت من زحام المدينة، وبقى المحل عنوانا للجمال والنظافة والحركة والرواج إلى أن استولت عليه وزارة التموين . كيف ؟ لست أدرى !

الذى لاحظته ولاحظه غيرى، هو كيف انحدر المحل انحداراً هائلا منذ أن استولى عليه القطاع العام للتموين والتجارة الداخلية، وصار عنوانا للقبح والدمامة بدلا من الجمال والرونق والأناقة . ومع زيادة القبح زادت لافتاته القبيحة للإعلان عن إدارة القطاع وتوارى كل شىء جميل فيه، وجعل المحل يتردى فى شكله وخدمته حتى آل إلى وكالة ومجمع للهرجلة والقذارة وسوء الخدمة، وظل منذ استولت عليه وزارة التموين ينحدر حتى عافه الناس وأوجع منظره المتردى عيون وقلوب من يتذكرون جماله ورونقه فى الزمن الفائت !

كان ظنى والحسرة تملؤنى أن المحل لا يزال موجودا وأن مأساته اقتصرت على ضياع الجمال وشيوع القبح فى كل شىء، إلى أن قادتنى قدماى بأمس، إلى شارع قصر النيل عائدا سيرا على الأقدام من جنازة بميدان التحرير، فروّعنى مشهد لا أتخيل أنه هان على من امتلكوا زمام المحل من سنوات.. فحولوه إلى خرابة . لقد انتهى المحل تماما وغُلِّقَت كل

(*) المال ٢٠٠٨/١١/٢٧

أبوابه على شوارع قصر النيل وإبراهيم القبانى وصبرى أبو علم بالضبة والمفتاح، وعشش العنكبوت والقذارة عليه، وحلّت أمامه أكوام الزبالة التى صارت مشهدا متكررا يملأ جنبات الشوارع حتى فى وسط المدينة الذى كان متنزها للجمال والأناقة حتى عهد قريب . فهمت من المحلات المحيطة بالمحل أنه مغلق من سنوات، وأن أحداً لم يعد يدرى لماذا ؟!

الذى أفهمه أن هذا المحل كان لابد يدر - فضلا عن رونقه وجماله - دخلا كبيراً حتى استولت عليه وزارة التموين، وأن هذا الدخل صار إيرادا من موارد الدولة ممثلة فى القطاع العام، وأنه صار بحكم ذلك من أموال الدولة العامة، الاستيلاء عليه جناية، وكذا الإضرار به عمدا أو إهمالا !

الذين آلوا بالمحل إلى هذه الحال، لا ينشرون القبح والدمامة وكفى، وإنما يهدرون المال العام إهداراً يستوجب المساءلة الجنائية . كل جنيه يفوت على الدولة كل يوم يمثل نزيفا للمال العام فضلا عن الإتيان المدمر على كل ما هو جميل فى بر مصر !

لم يكن بوسعى وأنا أشهد المنظر المؤسف، ولا هو فى وسعى الآن تقصى الأحوال والظروف والمثبطات والإهمالات التى أدت بهذه الدرّة إلى هذه الحال المزرية، ولا حساب ماذا ضاع على المال العام نتيجة هذ الإهمال الجسيم الذى يستوجب المساءلة والحساب !

ظنى أنه واجب على كل صحيفة مصرية أن تجرى تحقيقا صحفيا حول هذا الموضوع، يرصد العبقرية الفذة المؤسفة التى تعيث فساداً فى كل شىء طيب بمصر! لابد أن نعرف ماذا فعل ويفعل المسئولون عن هذه الجريمة التى حولت هذا المكان الرائع إلى خرابة، وكم ضاع على المال العام من جراء هذا الإهدار المفزع الذى لا يراعى أبسط مبادئ الضمير والإحساس بالمسئولية !